ولقد كانت ظروف الحياة من حوله تفرض عليه هذا النمط الأسيف من الحياة . ومن أجل هذا ظل يتمزق وظل يصارع حتى سقط قتيلاً ، قبل أن يحقق أي حلم من أحلامه الكبيرة .

ولكنه ظل محتفظاً بكبريائه طوال حياته على الرغم مما كان يلقى من غدر وإخفاق ، وإننا لنشم رائحة الاحتراق النفسي وهو يخاطب قلبه ، ويطلب إليه ألا يغدر به كما غدر به سيف الدولة :

حَبَبْتُكَ قَلْبي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى ... وقد كانَ غداراً فكُن أنتَ وَافِيا
وأعلمُ أنَّ البَيْنَ يُشكيك بَعْدَهُ ... فَلَسْتَ فُؤادي إن رأيتك شاكيا
أقلَّ اشتياقاً أيها القلبُ ربمَّا ... رأيتُك تصُفي الودَّ من ليس جَازيا
خُلقت ألوفاً لو رحلتُ إلى الصبا ... لفارقتُ شيبي موجعَ القلب باكيا

لست أدري لماذا لا نعاود تقديم هؤلاء الشعراء لشبابنا ، من خلال قراءة جديدة ، وتذوق فني جديد لشعرهم ، كما فعل الرواد العظام للنقد والدراسة الأدبية في مطلع هذا القرن .

وتمنيت أن تمكنني الظروف لأعيش فترة طويلة مع شعر المتنبي أعرض له صفحة روحي ووجداني ، وأذوقه مرة ثانية ، فقد يفتح الله عليّ وأقدمه في كأس جديدة لشباب اليوم » .

* * *

تذكرت هذه السطور الحارة التي كتبتها ونشرتها منذ بضعة أعوام ، فآثرت أن أفتتح بها مقدمتي لهذا الكتاب الذي أخص به عالم المتنبي .

فقد حققت بعض الأمل الذي كنت أتمناه وقدمت تذوقاً فنياً لبعض أشعار المتنبي ، من خلال منهج جمالي سميته « الرؤية الفنية » . ونشرته منجماً في مجلة الثقافة ابتداء من العدد الرابع والأربعين الصادر في يولية من عام ١٩٧٧ وأنهيت هذا الحديث عن المتنبي في العدد السادس والستين الصادر في مارس ١٩٧٩ .

أي أنني وقعت في أسر أبي الطيب في أعوام ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ – أفكر فيه وأعيش مع شعره وأكتب عنه . وأقرأ ما كتب عنه من دراسات وبحوث .

وكانت هذه تجربة جديدة عليَّ . فقد تعودت أن أكتب ملاحظات ثقافية ، وأتناول بعض القضايا الفكرية والأدبية في مقالاتي التي أنشرها في الصحف